(سورة عبس)

{ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ } { أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ }

{ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ }

{ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ }

{ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ } { فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ }

{ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ }

{ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ }

{ وَهُوَ يَخۡشَىٰ } { فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ }

{ عبس وتولى } كان صلى الله عليه وسلم في حجر تربية ربّه لكونه حبيباً فكلما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق حتى تحرك بنفسه لا بالله.

عوتب وأدّب كما قال: « **أدّبني ربّي فأحسن تأديبي** « ،

إلى أن تخلّق بأخلاقه تعالى. فإن التخلّق بأخلاقه كان بعد الوصول والفناء والتحقق به حال البقاء وهو الاستقامة وقت التمكين وانتفاء التلوين، فلما نظر بظاهر الحال إلى الكبراء وعظم في عينه غنى الأغنياء وأعرض عن الفقير اعتناء بالقوم وتقوّى الإسلام بهم إن آمنوا، واحتقاراً للفقير وإيمانه، نبّه بأن مثلك لا ينبغي أن ينظر إلى ظاهر الحال فيتشاغل عن المستعد الطالب الضعيف بالغني القويّ بل يجب أن يكون نظرك مقصوراً على الاستعداد وقبول الإيمان فتعتبر ذلك دون غيره ولا تحتجب بالظاهر عن الباطن عسى أن يكون الفقير المتلهى عنه عاملاً بالتزكية والتحلية بالغاً حدّ الكمال، فيصير مهدياً هادياً لغيره والغنيّ المتصدّى له لم يؤمن لعدم استعداده أو لاستكباره وعناده.

{ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ } { فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ }

{ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ } { مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ }

{ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ } { كِرَامِۭ بَرَرَةٖ }

{ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ }

{ مِنْ أَيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ }
{ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ }
{ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ }
{ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ }{ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ }
{ كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُ }
{ فَلْيَنظُرِ ٱلإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ }
{ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبّاً }
{ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلأَرْضَ شَقّاً }{ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً }
{ وَعِنَباً وَقَضْباً } { وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً }
{ وَحَدَآئِقَ غُلْباً } { وَفَاكِهَةً وَأَبّاً }
{ مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ }

{ وما عليك } بأس في امتناعه عن الإسلام { كلا } ردع له عن ذلك، ولهذا روي أنه ما تعبّس بعد نزول هذه الآية في وجه فقير قط، ولا تصدّى لغني

{ في صحف مكرّمة } عند الله هي ألواح النفوس السماوية التي نزل القرآن إليها أولاً من اللوح المحفوظ كما ذكر { مرفوعة } القدر والمكان { مطهرة } عن دنس الطبائع وتغيراتها.

{ بأيدي سفرة } أي: كتبة هي العقول المقدّسة المؤثرة في تلك الألواح { كرام } لشرفها وقربها من الله { بررة } أتقياء لتقدّسها عن المواد ونزاهة جوهرها عن التعلقات. ثم لما بين أن القرآن تذكرة للمتذكرين تعجب من كفران الإنسان واحتجابه حتى يحتاج إلى التذكير وعدم النعم الظاهرة التي يمكن بها الاستدلال على المنعم بالحسن من مبادىء خلقته وأحواله في نفسه وما هو خارج عنه مما لا يمكن حياته إلا به وقرر أنه مع اجتماع الدليلين أي النظر في هذه الأحوال الموجب لمعرفة الموجد المنعم والقيام بشكره وسماع الوعظ

والتذكير بنزول القرآن { لمَّا يقض } في الزمان المتطاول { ما أمره } الله به من شكر نعمته باستعمالها في إخراج كماله إلى الفعل والتوصل بها إلى المنعم، بل احتجب بها وبنفسه عنه.

{ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ }

{ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ }

{ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ } { وَصَٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ }

{ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ }

{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ }

{ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ }

{ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ }

{ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ }

{ أُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ }

{ فإذا جاءت الصاخة } أي: النفخة الأولى المذهبة للعقل والحواس { يوم } يهتم كل أحد بأمر نفسه لا يتفرّغ إلى غيره لشدة ما به واشتغاله بما يظهر عليه من أحوال نفسه، انقسم الناس قسمين: السعداء المسفرة وجوههم المضيئة المتهللة بنورية ذواتهم وصفائها المستبشرة بما لقوا من هيئات أعمالهم ونعيم جنانهم، والأشقياء المسودة وجوههم بسواد كفرهم وظلمة ذواتهم المغبرة بغبار هيئات فجورهم وقتام آثار أعمالهم.

{ أولئك هم الكفرة الفجرة } أي: اجتماع كفرهم وفجورهم هو السبب في اجتماع السواد والغبرة على وجوههم.